# الرَّكب الجهادي

لقمان بن عبد الحكيم





مؤسسة النازعات
A n n a z i a t

ربيع الأول
١٤٤٧هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

# الرَّكب الجهادي

لقمان بن عبد الحكيم

النازعات

ربيع الأول ١٤٤٧

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الناظر إلى الحالة الإسلامية التنظيمية عامة بعد فشل الثورات –يدرك مدى الضعف والوهن الذي مزَّقَها، حتى بات الشباب الناشئ لا يدرك كيف كانت التجمعات الشبابية الإسلامية قبل ذلك. ودراسة هذه الحالة مهمة للإسلاميين لدَرك مكامن الغلط، والنظر إن كانت التنظيمات فقدَت بريقها لعِلة أصيلة فيها أو لأمر عارض كتوحش الطواغيت لتجفيف منابع الجُندية الإسلامية.

هذا المقال ليس دراسة لهذه الحالة إنما محاولة لفهم إحجام الشباب عن اللحاق بالركب الجهادي مما أضعَفَ شوكة الأمة، وفيه محاولة النصح لإيجاد حل لهذه المعضلة، ولا يخلو من نظرة شخصية وآراء ذاتية مسبقة.

# الفصل الأول

## سياسات إطفاء الشعلة

مِن طبيعة المخالَفة المنهجية أن يَدخُلَها سلاح الطعن والتشويه، وليس ذلك لسوءِ طوية وقبح سريرة دائمًا، بل هي مِن طبائع الخلاف؛ إذ كل مخالف ينظر إلى خصمه بعين نفسه، فيراه مُهَدّدًا لوجوده، مانعًا له مِن تحقيق أهدافه السامية؛ فيصف مخالفَه على الحال التي يراه فيها هو لا على حاله في نفسه، وهنا موطِن التشويه، وهذا واقع بين مناهج التغيير الإسلامية، وكذلك بين الطواغيت وعامة الإسلاميين على رأسهم أهل الجهاد. قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٣٦﴾ [الأنبياء ٣٦].

فمن السياسات المتَّبَعَةِ في منع الشباب مِن التفكُّر في منهج أهل الجهاد ما يتعاطاه المحللون من المنافقين وغيرهم النابذين أهل الجهاد بالغلو تارة والفشل تارة أخرى. إذ ينظرون إلى المجاهدين أنهم فشلوا في تحقيق أي هدف من أهدافهم المعلَنَة: سواء كبح الإمبريالية الأميركية التي ما زالت على رأس عملها في بلادنا، أو من ناحية بناء دولة الشريعة في قُطر من أقطار المسلمين. ويعتبرون هذا الفشل عائدًا إلى بِنية الحركة المجاهدة ومنهجها، وهذا قفز في

عماء يُبين عن تحيزٍ للنتيجة عند أصحابه، حيث يَعرض المنهج للمحاسبة على النتيجة فقط، دون النظر إلى الظروف والعوائق التي حالَت دون بلوغ المقاصد، وهذا انحياز نفسي ليس يستند إلى تحليل علمي أو دليل معتمَد.

ذلك أننا لو سلَّمنا بالفشل (وهو في حقيقته ليس فشلًا كليًّا، بل فيه نجاح وفشل)، لا يهدم أصل الحركات ومنهج العمل، إنما ينبغي على الناقد ابتداءً –خاصة إن كان ممن ينتسب ظاهرًا لأهل الجهاد– إلى الأخطاء السلوكية التي خالفَت المنهج النظري، ثم إلى تفاصيل المنهج النظري إن كان ثَم فيها خطأ يورِد الحركة المجاهدة إلى هذا الفشل، وهكذا التدرُّج في النظر للوصول ختامًا إلى أصل بنية الجماعات، لا أن يقفز المتهوِّر مِن أول نظرة إلى النهاية، وكل هذا النظر ينبغي معه استحضار وحشية العدو وقوته من كل النواحي، فحتى لو عملت الجماعات بكل تفاصيل الحق قد لا تجد الثمرة في العقود الأولى، إنما الحق محتاجٌ إلى بناء مطوَّل خاصة في واقعنا الذي تتفاوت فيه القوى تفاوتًا مَهولًا.

وأما من ناحية تهمة الغلو، فالمسألة فيها غبش كثير، أولًا في تعريف الغلو وضبط حدوده، ثم في بيان مَن يقع عليه اسم الغلو. ذلك أن نابز المجاهدين بالغلو قد يكون موصوفًا به عند غيره، كما أن المجاهدين مرجئة جهمية مرتدون

عند غيرهم، والحاجة إلى ضبط المفاهيم ثم مصطلحاتها أصل في الكشف عن صحة النقد أو بطلانه.

أما من ناحية المنهج النظري فالأصل الكشف عنه مِن قادة وعلماء الجماعة وتأصيلاتِهم لا من المنتسبين إلى المنهج العام. فالجماعة يُحاكَمون إلى أصولهم لا إلى أصول مَن ناصرهم ولو كان لهم مديح وإطراء لبعض الأعيان، فالوقوف والنصرة في زمن تخلي العمائم وأهل النفاق يوجِب الشكر، وليس مِن عادة أهل الجهاد الحَطُّ مِن أقدار مخالفيهم إن بان منهم الصدق، فكيف بمَن وافقهم في أكثر ما يذهبون إليه، بل ناصرهم وأوذي في نصرتهم!! قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨﴾ [المائدة ٨].

أما من ناحية السلوك، فلا يشك الناظر وحتى قادة الجهاد أن كثيرًا من الشباب المحب للجهاد خاصة قبل بروز فتنة جماعة «الدولة» كان فيه شيء من الغلو يختلف باختلاف المعيَّن، وكَشْفُ هذا بالنظر إلى مقولات الشباب ومناهجهم وقياسها إلى المنهج النظري للجماعة الذي ذكرناه سابقًا، وهذا عندي فشل في ضبط الحاضنة حتى آلَت هباءً عند الخلاف مع جماعة «الدولة»؛ فخَسِرَت الجماعة شبابها، وخَسِرَت أكثرَ عند نِسبة فِعال الشباب الضلالية إلى منهج الجماعة الأصيل. وعندي أن أهم أسباب محبة هذه

النفسيات للمجاهدين، أن الجهاد قتال، والقتال عادةً تُرافِقُه غِلظة ومَيل عن الوسط، لذا يلحق المائلون عن الوسط بالمجاهدين لِيُشبِعوا ذواتَهم.

ما مضى من سياسات الإضلال عن ركب المجاهدين كان من ناحية النقد مِن جانبَي الغلو والفشل.

أما ما يُذكَر الآن فمِن جانب استقطاب الشباب إلى مناهج أخرى مخالفة لمنهج السادة المجاهدين، ولعل الاستقطاب مبني على سياسات النقد خاصةً ما ذكرناه قبل، فيبدأ المتصدرون بنقد المجاهدين وكسر هيبة منهجهم ثم يأتي غيرهم لتصدير مناهج أخرى تجذب الشباب زاعمين أنها خالية من الأخطاء الذاتية الملازمة لمنهج أهل السنة والجهاد.

من أخطر هذه الأفكار الآن ما يُصَدِّرُه أنصار مشروع الحكومة السورية، الذين يركِّزون على غلو وفشل الجماعات الإسلامية عامة والجهادية خاصة متناسين أن كل خير هم فيه مرجعه إلى ما ساروا عليه في مسلك الجهاد، وأن كل باطل يقعون فيه كلَّ لحظة هو مما دفعَتْه إليه أذهانهم المتشبعة بالهوى والتعلُّق بالدنيا.

ومبنى حجة هؤلاء أن الجماعات الجهادية فشلت في تحقيق أهدافها، ثم إن جماعتهم نجحت في ذلك، بالتالي هم على الحق دون غيرهم. وكسر هذه الحجة المتصدِّعَة بنقض نتيجتها، إذ أنَّ مدارَ الكلام على بلوغ الهدف، فأي هدف

قد حقَّقه هؤلاء! إن هدف عامة الجماعات الإسلامية هو بسط الشريعة في الأرض، أي أن يحكم المسلمون أنفسهم على مراد الله بتنفيذ أوامره الشرعية في الأرض، وهذا هو الهدف الاستراتيجي البعيد.

ومِن الأهداف القريبة عند المجاهدين: كَفُّ أذى الأميركان وغيرهم عن بلاد المسلمين، كسر شوكة الطواغيت الحاكمين بأمر الشيطان الذين اتخذوا الدساتير الطاغوتية مرجعيةً دون شرع الله، ترتيب الصفوف -حقًّا- لمحاربة يهود وتحرير أرض المسلمين منهم، وهذه هي المقاصد الكبرى للمجاهدين الذين لم يحققوها حتى الآن، بعضها بأخطاءِ منهم وأخرى ليست بأيديهم.

فإذا جئنا بنتائج الحكومة السورية الجولانية، فما هو معيار النجاح عند أنصارها؟ لنترك الهدف الاستراتيجي لكونه بعيد المدى، ولننظر إلى الأهداف المرحلية التي تكشف صدق دعوى كون هذا الهدف مقصدًا عند العاملين: أما عن الأميركان؛ فإن العلاقة بين الحكومة والأميركي علاقة عبد وسيد، ليست حتى علاقة تفاوض فضلًا عن كونها مقاومة، ذلك أنهم يتطلَّبون كلَّ مرغوب يُرضي الأميركان، مِن ذلك: التذلُّل لقسد والدروز المحاربين، وملاحقة المجاهدين وسجنهم واستهدافهم، ومشاركة المعلومات الاستخبارية بل والنزول صفًّا واحدًا مع الأميركان في حربهم على جماعة «الدولة»، بل على أفرادٍ قِلَّةٍ بعوائلهم من

نساء وأطفال.. والمتابع بِعَين الإنصاف سيخرج بأمور أخرى ظاهرة في الذلة والصغار أمام الطاغوت الأميركي.

وأما عن كسر شوكة الطواغيت فكذلك حصل العكس؛ إذ يصرِّحون مرارًا أنهم يريدون الأمن والسلام لدول المنطقة، وعلاقاتهم الاستخبارية تزيد يومًا بعد آخر مع شياطين البلاد من دول الاستبداد فضلًا عن تركيا، وما وفود المتدربين عنا ببعيد.

وأما حرب يهود فهذه الطامة الكبرى التي فضحتهم أمام كثير من الإسلاميين الذين ظنوا بهم خيرًا، بل موقفهم المخزي أوقعنا في ورطة أمام محور المقاومة الشيعي الذي كان يزعم أنَّ تدخُّلَه في سورية إلى جانب النظام المحترق هو لصد الإرهابيين العملاء ليهود، فيبدو -حقًّا- أنهم صدقوا في الأخيرة، إذ قمة الذلَّة رأيناها في موقفهم من يهود، ففي نفس الوقت الذي تُضرَب فيه غزة لمدة سنتين، تُجري الحكومة مفاوضات لضبط الأمن بين البلدين، ويهود يضربون وسط دمشق دون مقاومٍ يهدِّدُهم فضلًا عن ردعهم!

هذه خلاصة الأهداف التي يسعى إليها المسلمون، فأين نجاح هذه الحكومة؟ إن كان ظنهم أن السيطرة على بلد هو نجاح فليبشروا بما يسوؤهم في الدنيا والآخرة، إذ صاروا منازعين للرب في حاكميته. قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ

هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ۝٥١ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن
تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ۝٥٢ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذًا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ۝٥٣ أَمۡ يَحۡسُدُونَ
ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ
وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمًا ۝٥٤ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا
۝٥٥﴾ [النساء ٥١-٥٥].

وأما الخط الثاني في الاستقطاب، فهم أقل حِدَّة في النقد، وأكثر قربًا في النهج، لكنهم أضرُّ على المجاهدين حالًا مِن ناحية استقطاب الشباب، وهم السروريون الجدد أو والمراكزيون، ذلك أنهم جذبوا الشباب بخطاباتهم، خاصة ما كان فيها مواكِبًا للواقع وخاصة في معركة غزة، لكنَّ خطرَهم في تنفيس الشباب في مشاريع دون المطلوب الواجب منهم، وفي أحيان مشاريع فاشلة ليس لها أي أثر في واقع المسلمين، وكل ذلك تحت شعار «تعدد الثغور».

وأصل ما ذهبوا إليه أن الجهاد مطلوب لا نزاع فيه، لكنه مطلوب في صور ضيِّقة كحال شباب غزة أو بعضهم، أما إعداد النفس للنفير إلى سوح الجهاد المفتوحة كاليمن وإفريقيا، أو الإعداد لفتح سوح أخرى بما يمليه عليهم أهل الجهاد كالعراق والشام مع يهود، أو الإعداد والتخطيط لضرب العدو الأكبر.. كل ذلك خارج قاموسهم المنهجي، ولكون الشباب ذوي حماسة عالية خاصة عند رؤيتهم عذابات المسلمين على أيدي المشركين، أو تطلُّعهم إلى تبختر

المجاهدين وإقدامهم لتصفية المجرمين؛ نفخ الشيطان في عقول بعض المتصدرين فكرة «تعدد الثغور»، فيذهب الشاب إلى الاهتمام بموضوعات فكرية كالإلحاد والنسوية، أو أعمال اجتماعية كالفقر والإدمان، ثم يرى نفسه بعد ذلك قرينًا للمجاهد النافر المهاجر بنفسه وأهله وماله، فكل واحد من هؤلاء على ثغر يحمي بيضة المسلمين كما أَفهَمَه أشياخُه.

وفضلًا عن تفاهة هذه الفكرة عند تفكيكها، إذ الطامة والداهية أن بعد هذه السنوات التي بلغَت عقدًا مِن الإلهاء عن واجب الوقت؛ لم يتخرَّج في هذه المدرسة رجل متقن لهذه العلوم يكون سادًّا للثغر فعلًا، وأعني شابًّا نشأ مع هؤلاء من البداية حتى الآن لا بعض الذين قاموا من بداية أو قبل هذه المشاريع. فلا هم سدُّوا ثغورهم، ولا هم تركوا الشباب للمجاهدين.

تخيَّل أن عدوًّا دهم قرية، قام شبابها لصدِّ عادية هذا الصائل؛ فقاوموا بالسلاح حتى استشهد كثير منهم وأصيب أكثر. عند ذلك أعادوا ترتيب الصفوف بين مقاتِل منغمس، وقناص، واستشهادي وغيرها من مهام المعركة المباشرة، ثم قُسِّمَت مهام أخرى لصيانة السلاح، وعلاج الإصابات، وإحضار المعونة من المأكل والمشرب والأدوات الطبية، وتوثيق الأحداث، ورفع العقيدة القتالية بالخُطَب والدروس.. لعل الفَطِن تنبَّه إلى الذي أريد، لكن هاك شرحًا أكثر تفصيلًا: لو قُسِّمَت مهام شباب هذه القرية، ستجدها ابتداءً قريبة

الصعوبة والخطورة، ثم هي قريبة الفائدة، بل كل مهمة هي شرط في دفع الصائل، ثم الأهم أن الكل جاهز لأخذ المهمة عن الآخر إن احتيج إليه، هذه الصورة هي المصداق الصحيح لمفهوم «تعدد الثغور».

فإن كنت مرتابًا فيما أنت عليه من المنهج؛ فانظر في المثال وقس عملك إليه. فلا يختلف اثنان أنَّنا مستضعفون في الجملة، ودهمنا العدو الأكبر بنفسه وبأذنابه، وقام شباب وشياب بمقاومة هذا العدو من كل جانب، وقام آخرون بمهام بعيدة أشدَّ البُعد وإن كان فيها خير، فأين ترى نفسك! قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۝١٢٢﴾ [التوبة ١٢٢].

واعلَم أنَّ الجهاد في سبيل الله أعظم سبب لتوحيد الأمة وقطع دابر التفرق بينها، وكلما ابتعدَت الأمة عن ساحاته؛ انتشر الخلاف بينها، وتسرَّب التنازع في بِنيَتِها؛ فلا تستقيم أمورها إلا بساحة جهادية، ولا يتحقَّق أثر الجهاد إلا بالاجتماع، فكلا الأمرين لا ينفصل عن الآخر: الجهاد يربط الأمة، والوحدة تمنح الجهاد قوَّتَه وآثارَه. ومن هنا يظهر أبلغ نقص قد يبتلي الحركة الإسلامية: انشغالها بالفروع عن أصل الصراع. وفي هذه المرحلة، يصبح التعاون بين مناهج الحركة لمواجهة الطاغوت العالمي واجبًا شرعيًّا وعمليًّا؛ فالجهاد ضد المعتدين هو نقطة الاجتماع التي توحُّد الأمة.

هناك منهج آخر قاد الشباب من أعناقهم كالخراف الضالة، ولن أطيل الحديث عنه لأني أراهم أمواتًا لا فائدة ترجى منهم، وهم الخوارج القعدة الذين علموا كيف يسيطرون على نزعة الشباب الشاطحة عن الوسط والإنصاف، فأشغلوهم بتكفير المسلمين، بل أئمتهم، وأبعدوهم عن الأمة وجعلوا بينهم فاصلًا من التكفير واللعن، وهؤلاء لا خير فيهم إلا أن يتدارك الله بعض أعيانهم بالرحمة؛ فيصرفه عما هو عليه. والتنبيه للعاملين للإسلام والمجاهدين خاصة إلى ضرورة تحجيم شطحات الشباب، فقد ابتُلينا بجماعة «الدولة» مرة، والآن بطوائف الأثرية، ولا ندري ما ينتظرنا غدًا.

وأما عن سياسات الطواغيت، فالكلام عن أمرَين: أحدهما ضد المجاهدين مباشرة، وآخر في تخفيف منابع المجاهدين عن طريق عامة الناس:

فالطاغوت العالمي وأذنابه ضيَّقوا على المجاهدين معاشهم، حتى بات الناظر إلى ساحة من سوح الجهاد يودِّع الحياة التي كان قد عاشها سابقًا، فهو مدرِك بغلبة الظن أنه ميت عما قريب، فضلًا عن الحياة القاسية التي سيعيشها دون تحقيق أي شيء مما كان يحلم به من حياة هنية ومستقبل وظيفي وعائلي مستقر. ذلك أنهم تعاونوا (أي الأميركان) أو أمروا أيَّ دولة طاغوتية بتضييق الأرض على المجاهدين وحربهم دون أن يكون للمجاهدين منفذ يستريحون فيه،

بل دون أن يكون في نية المجاهدين حرب هذه الدول، لكن البعبع الأميركي يخيف عامة الطواغيت مما يجعلهم عبيدًا يأتمرون بأمره.

ومن ناحية الشعوب فقد سلك الطواغيت مسلكين: إما الإغناء والأمن والراحة والرفاهية التي تُميت روح القتال عند المسلمين لعدم قدرتهم على تصوُّر فقدان هذه الملذَّات؛ بل غالبًا لا يَصِلون إلى التفكير في ذلك أصلًا لكثرة الملهيات التي تصرفهم عن دين الله.

وإما الإفقار والتخويف والبطش التي تُنتج عبيدًا بالرهبة، فلا يجرؤون على رفع الصوت بكلمة، فضلًا عن الفقر الذي يغمسهم في العمل الدائم لتأمين لقمة العيش دون وقت فراغ يسمح لهم بالتفكير في نصرة المجاهدين.

روى الحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**ما يَنتَظِرُ أحدُكُم إلّا غِنًى مُطْغِيًا، أو فَقرًا مُنْسِيًا، أو مَرَضًا مُفسِدًا، أو هَرَمًا مُفَنِّدًا، أو مَوتًا مُجْهِزًا، أو الدَّجّالَ، والدَّجّالُ شَرُّ غائبٍ يُنتَظَرُ، أو السَّاعةَ، والسَّاعةُ أَدْهى وَأَمَرُّ**»[1].

ما سبق الكلام فيه هي أهم الموانع الصارفة عن لحاق المسلمين بالمجاهدين، والحق أن الشباب المسلم أقسام: مناصر للمجاهدين حجزَتْهُ الظروف أو ما ذكرناه من صعوبة الجهاد وقسوته، شباب مغترُّون بأعمالهم الدعوية ظانين أنها

[1] المستدرك (٨١١٩).

أعلى من مقام الجهاد، وشباب ضائع مشتَّت لا يعرف شيئًا عن الإسلام والمسلمين، والحق أن أكثر الشباب لا تحرِّكهم إلا الهزَّات الكبرى بفعل المجاهدين، كما حرَّكَتهم من قبل.

# الفصل الثاني

## إحياء الحركة المجاهدة

ليس مقصد الكتابة الردَّ على المخالفين أوَّلًا، إنما جاءت عرضًا لِمَا دعَت إليه حاجة بيان حال الحركة المجاهدة، ومقصد الكتابة نشرع فيه الآن وهو إحياء العمل الجهادي وبعثُه من تحت الركام. والكلام عن الجهاد على ضربين: فإما مع استطاعة وقدرة وقد تتوفر في مكان دون آخر؛ فالقتال، أو لا؛ فالإعداد، ومدار الديانة على هذين المطلبين: فالجهاد أساس في تحقيق عبودية الله في الأرض، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ۝٧٦﴾ [النساء ٧٦]، وقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٥٥﴾ [سورة النور ٥٥]، وقبلَه الإعداد لتحقيق عبودية الأفراد والطائفة المؤمنة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات ٥٦].

لذا فالكلام في المطلَبَين يضم كل الشريعة؛ فالبحث هنا مقيَّد بالحال الذي نعايشه لا بإطلاق، وكذلك لا أزعم الإحاطة بعامة المطلَبَين مع التقييد إنما بما

ظهر واستبان في الذهن من خلال المتابعة والتأمل في حال الأمة والطائفة المجاهدة.

## المطلب الأول: الإعداد

الإعداد شأنه عظيم، وهو شرط تحصيل الإرادة والقدرة الباعثَين على الجهاد، فالفعل لا بد أن تتوفر فيه إرادة دافعة للفعل وقدرة تُمَكِّن الجماعة مِن تحصيل المطلوب، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال ٦٠]. والإعداد إما أن يكون لداخل الطائفة المجاهدة، أو لا؛ والحديث الآن عن الأولى:

### المبحث الأول: أفراد الحركة المجاهدة

الكلام في الإعداد كثير، تكلَّم فيه الصالحون وغيرهم، وجاؤوا على عامة ما يمكن الحديث عنه، وإنما أخطُّ القلم هنا تذكيرًا ببعض أصول البناء التي أراها مناسبةً لافتقار طوائف الجهاد إليها، فأهمها:

**الجندية:** هذه الصفة أنادي بها كلما وَضَعتُ قلمًا على ورقة، وكل مَن عرفني يُدرك عظيم قدر هذه الصفة عندي لا لكوني متلبِّسًا بها إنما لكونها أصلًا في استقرار الحركة المجاهدة، فالطائفة قد تُبنى ابتداء بغير الجندية، وإنما

باجتماع شباب على نهج واحد دفعتهم الضرورة إلى ذلك وتنصيب أمير ومجلس إدارة، لكن استمرار الجماعة واستقرارها لا يكون إلا بالجندية، وغاية الجندية: التسليم التام أو شبهه لمن تقلَّدَ الإمارة برضا الجند، وكان رضاهم مبنيًّا على عدالته الشرعية وإتقانه الفَنَّ الذي اجتمعوا عليه، حتى يكون الجند كالأموات بين أيدي قيادتهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء ٥٩]، والرد إلى الله ورسوله يكون بفهم أهل العلم كما ثبت بذلك الإجماع ونصَّ عليه الوحي: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ [النحل ٤٣].

وإلا؛ فإن كثرة الاعتراض والتأليب على القيادة، ثم استصغار الأمراء ورفع النفس فوقهم في الرأي والنظر؛ مآله انهيار الجماعة وتآكلها من الداخل، ومَن لم يعد يحتمل آراء الجماعة بما يراه مخالفًا للشريعة يقينًا؛ فليفارق بإحسان، ولا بد لقيادة الجماعة من توفير هذا السبيل حتى تتصلَّب قاعدتهم في الجندية وتتخلَّص من شوائب الاعتراض العشوائي. فإنَّ نَكْثَ العهد بعد البيعة، أو خذلان الأمير حتى يُصرَع، ليس إلا غدرًا يفتح باب الفتنة ويهدِم بنيان الجماعة من أساسه.

ويجب التنبُّه كذلك إلى أن الجندية قد تُختبَر عند تعلُّق الأفراد بشخص معيَّن، فحين يخطئ المتعلَّق به، قد يُصدَم الآخر ويجد نفسه منكسرًا أو متردِّدًا، فيجعل زلة الشخص سببًا في ابتعاده عن الحق إذا لم يكن الانضباط والوعي متينَين.

غير أنَّ للجندية آفةً إذا تُرِكت بغير ضابط، وهي أن تنقلب إلى تقوقع يُصيب الجماعة بالعَمى عن وجوه الخلل، فيميل الأفراد في المنظومات الهرمية إلى تكرار النمط نفسه من التقدير والحكم، فلا يُسمَع صوتٌ لمخالف، ولا يُسمَح بنقدٍ يُقوِّم، حتى إذا نزل البلاء عجزت الجماعة عن توقِّيه، إذ كلهم قد نظر بعين واحدة. والعاقل لا يَغتَرُّ بظنه ولا يمضي منفردًا فيما لا يجد له عليه أنصارًا، فالرأي وإن بدا لصاحبه يقينًا قد يخفى فيه الخلل، ولا تنكشف عوراته إلا عند التشارك والنقد.

ولذا لا بد من تكليف مجلس من الحكماء مَهمَّتُه القيام بدور الخصم داخل الجماعة، لمحاولة نقد النظرة السائدة، وطرح مسالك أخرى لا يريد القادة التفكير فيها أصلًا. وبهذا يُكشَف للقيادة تصورات أخرى لتفادي الوقوع في فخ النمطية المكشوف مآلًا.

فالجندية التي نُنادي بها ليست استسلامًا أعمى يُخرِس العقول، بل هي انضباط مع وعي، وطاعة مع بصيرة، تجعل الجند كالأوتاد الراسخة خلف

قيادتهم، مع بقاء نوافذ النقد المنضبط مفتوحة، كي لا يضيع الحق بانغلاق الجماعة على ذاتها، وحتى لا يختلط الانضباط بالجمود.

**الاستقلال العلمي والفكري:** لا أخطئ القول إن زعمتُ أن مِن أكبر أسباب إحجام الشباب عن حركات الجهاد: غياب الشخصية العلمية التي تقارع البارزين مِن بقية المناهج بالحجة والبيان، فالمخالفون حتى لو لم يتعرَّضوا لطوائف الجهاد بالنقد، ففيهم قوة جاذبة للشباب تُحَيِّدهم عن الحركة المجاهدة، لذا لا بد من تصدير شخصيات علمية وفكرية وتأمين الحال اللازمة لها للبروز في ساحة الدعوة، روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنه قَدِمَ رجلان من المشرق فخطبا، فعجِب الناس لبيانهما، فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ مِنَ البَيانِ لَسِحْرًا، أوْ: إنَّ بَعْضَ البَيانِ لَسِحْرٌ**»[1].

وإخوة خراسان عندهم فرصة كبيرة إذا التزموا بأخذ العلم والحكمة عن علماء خراسان والهند، إذ فيهم مِن العلم وطرائق الفهم ما لم يطَّلع عليه أكثر المشتغلين بالعلم من بقية بلاد الإسلام، فأَخْذُ طرائقهم وممارستها ثم طرحها في المسائل المتناولة في بلاد الوسط والمغرب؛ يرفع ويُبرز القامات العلمية ولو كانت حديثة الظهور.

---

[1] البخاري (٥٧٦٧).

وقريب من ذلك: أن كثيرًا من الإخوة الناشئين على الفكر السلفي التقليدي كانت غايتهم القراءة لشيخ الإسلام وصحبه، وكان هذا في المراتب العليا المتأخرة، فلما دفعتهم الأيام والفتن للقراءة لغيرهم من المتقدمين كحجة الإسلام الغزالي وإمام الحرمين الجويني والعز بن عبد السلام والقرافي والزركشي.. وغيرهم من محققي أهل العلم استبان لهم زيغ ما كانوا عليه من حَجر أنفسهم في قوقعة السلفية المعاصرة التي إن بحث أهلها عن مسألة فقهية نقلوا فيها الخلاف بين مشايخ كانوا معنا أحياء في بداية القرن! بل أقرب مِن ذلك مَن بدأ القراءة والسماع للمعاصرين من غير هذه الطائفة الذين برعوا في علوم كانت مهملةً كعلوم العربية والأصول والمنطق.

ويجب على أهل الفكر والنظر إدراك أن جهدهم العلمي لا يضيع، وأن صبرهم اليوم على الإهمال والفتور، ما هو إلا مرحلة انتظار تراكم القوى والوعي حتى يحين الوقت الذي يثمر فيه علمهم ويظهر أثره على النفوس ثم في ساحة الجهاد.

**بعث الروح الجهادية:** أصل التربية الجهادية -بل أصل التربية عامة- هي التربية بالعمل وأثناءه خاصة في سوح الجهاد، ولا تُغني سلاسل التزكية ومجالس التربية وحضرات السلوك عن ساعة رباط أو لحظة اشتباك؛ لذا كان الجيل

الأول من المجاهدين صَلب الاعتقاد والمنهج، فقد عركته التجارب والمحن، حتى خرجت الطائفة المجاهدة صافية من الكدر.

ثم جاءت الفتن المتتابعة من الداخل قبل الخارج، وأخَّرَت الجهاد وعرقلَته حتى كادت تفتر النفس الجهادية؛ فكان لزامًا على قيادة الصف الجهادي إعادة الدعوة والتذكير بمبادئ ومقاصد الحركة المجاهدة.

## المبحث الثاني: طوائف الأمة

والقصد منهم كل مسلم يتشوَّف إلى تحقيق العبودية لله في الأرض مهما اختلفت مناصبهم، وهؤلاء: إما أنصار للطائفة المجاهدة امتنعوا عن النفير لأسباب، أو لا؛ والحديث ابتداء عن:

**الأنصار**: وهم الشباب الذين اطلعوا على شيء مِن منهج وسلوك الحركة المجاهدة فأيَّدوها وناصروها ولو بالكلمة، والأصل أن تكون نفوسهم مهيئة للنفير إليهم، والعمل مع هؤلاء من طرف الحركة المجاهدة بمدِّ جسور التواصل والتعاون وسلوك درب الإعداد ذاته المسلوك مع أفراد الجماعة، مع الاهتمام البالغ بتحضير نفوسهم للنفير متى ما تطلَّب الأمر، خاصة النخبة التي تدفع الجهاد لمستوى أعلى كخبراء التقنية والعسكرة والطب.

والمتابع لحال أنصار الجماعات المجاهدة يظهر له غياب مسألة النفير بينهم، وإن كان بعض حديثهم يدور حول امتناع النفير لانقطاع الطرق، لكن الذي

أراه -والعلم عند الله- أن الأكثر ليس بالشجاعة الكافية للهجرة والنفير للأسباب التي ذكرتُ بعضها فيما مضى، روى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن ماتَ ولَمْ يَغْزُ، ولَمْ يُحَدِّثْ به نَفْسَهُ، ماتَ على شُعْبَةٍ مِن نِفاقٍ**»[1]، وتحديث النفس بالجهاد لا يقتصر على نَغَم الإنشاد وتحرُّك العواطف؛ بل لا بد أن يظهر أثره في الأخذ بالأسباب، وإعداد العدة، عندها يتحقَّق الانعتاق عن فَخِّ النفاق.

**الآخرون:** واللاأنصار إما أن يكونوا مترددين في النصرة، يرون بعض الحق مع طائفة الجهاد وبعضه مع غيرهم فيزعمون -تديُّنًا- أنهم على غير منهج إنصافًا، وغالب هؤلاء من طلاب المراكزيين، فاستمالتُهم تكون بالحجة والبرهان، بنقض أصول أفكار المخالفين خاصة اللامنهج أو تعدد المناهج، وبالتأصيل المتقَن لمنهج أهل الجهاد، وأكثرهم على خير مريدون الحق.

أو لا؛ فهؤلاء إما محايدون فلا ننصب لهم العداء إنما نبقى على البرهان والحجة، أو لا؛ فهؤلاء نشتد عليهم في الخطاب والنقد وهدم ما هم عليه من ضلال بلسان حاد. وكل هؤلاء دواؤهم بروز الأعلام العلمية من المجاهدين كما ذكرتُ سابقًا.

---

[1] البخاري (٥٧٦٧).

وكل مَن ذكرنا من المنتسبين للإسلام باختلافاتهم هم قلة في الأمة، إذ أكثر الناس من الرعاع الذين يسيرون خلف كل ناعق، أو خلف مصالحهم وأهوائهم؛ لكن مَن استطاع كسب تأييدهم الشعبي فقد وضع قدمَه على سلَّم السيطرة. ومما ينبغي الانتفاع به في هذا الباب النظر إلى آليات علم النفس الاجتماعي مع القراءة في الدراسات التحليلية للشعوب المستهدَفة إعلاميًّا وعمليًّا. مِن ذلك ما يمكن استعماله في هذا الوقت من الظهور الشخصي لبعض القيادات أو تعيين ناطق رسمي، تركز خطاباتُه على إظهار الضعف والانكسار دون كلام مباشر في ذلك، بل بالحَوم حولَ هذه المعاني بالتصوير واللباس ونبرة الصوت والمصطلحات المستعملة.. ثم التصاعد في الخطاب الذي يُبقي جذوة الحرب مشتعلةً بين المجاهدين والطاغوت العالمي. هذه الحبكة الخطابية التي تُظهِر ثنائية الضعف والصمود، مع نَفَس أمني لاتنظيمي يُشرِك الناس عامةً في الصراع، كل ذلك إن نُشِر على رقعة واسعة. وأحسب أن أي ظهور جديد لقائد أو متحدث رسمي ستستقبله القنوات الإعلامية المعروفة، خاصة إن كان الحديث عن واقع الصراع اليهودي، والقاعدة أن إذا أردت أن تكون المنتَصِرَ، فلا تسعَ لأن ينظر إليك الناس نظر القوة العظمى، فإن الشهرة بدهائك وقوتك تَفضح مقاصدك، وتكشف ما خفي مِن أهدافك؛ فيتحاشاك

الضعفاء، ويتهيَّأ لك الأشدَّاء؛ فتضيع فرص التأثير الخفي والسيطرة المحكمة على مجريات الأمور.

مع ذلك.. قد حكى الإمام الطبري قولَ عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي للإمام الحسين عليه السلام إذ عَلِمَ عزمَه الهجرة إلى العراق: «إنه قد بلغني أنك تريد المسير إلى العراق، وإني مشفق عليك مِن مسيرك، إنك تأتي بلدًا فيه عُمَّالُه وأمراؤه ومعهم بيوت الأموال، وإنما الناس عبيدٌ لهذا الدرهم والدينار، ولا آمَن عليك أن يُقاتِلَك مَن وعدَك نصرَه، ومَن أنت أحبُّ إليه مِمَّن يُقاتِلُك معه»[1].

هذه كلمات تحليليَّةٌ عظمية، تكشف دقائق نفوس الرعاع، وتُبطِل مذاهب الحركة المبنيَّة على حماسة الجمهور، وتفضح سوسة القلوب في ساعة الفداء: ذاك هو الوجه الآخر للإيمان المزَيَّف، الإيمان الذي يُزعَم أنه استوطن القلبَ، ثم هو يتهاوى عند أول مواجهة مع مصلحة الدنيا.

وها هنا تتبدَّى عَثرة منهجية لم تنتبه لها كثير من الحركات الإسلامية حين بنَت مشروعها على الجمهور، وجعلَت الولاء الشعبي عمادَ التغيير؛ فجهِلَت طبائع الناس، وغفَلَت عن حقيقة أن أكثرهم (وإن صدَّقوا) لا يوفون بعهودهم،

---

[1] استشهاد الحسين (ص ٧٣).

ولا يلتزمون ببيعتِهم، ولا يثبتون عند اللقاء، ولا يصبرون حين تشتدُّ الكلفة وتغيب المصلحة.

لأجل ذلك؛ كل مشروع تغييري لا يبتني على نخبةٍ مؤمنةٍ صادقةٍ محصَّنة ممحَّصَة، هو مشروع ساقط قبل أن يبدأ. والنخبة هي التي آمنَت باطنًا، وظهرت عليها آثار الإيمان في الحركة والسلوك، لا التي عبدَت الله على حرف، ولا التي تبيع الدماء عند تقاطع الطرق.

أما رعاع الناس؛ فمكانهم في التبعية لا في التأسيس، ويُساقون بوعي القادة لا العكس، ولا يُعوَّل عليهم عند الاصطفاف الحاسم. فإن نكصوا، لم تتغيَّر وجهة المشروع، لأن القاعدة لم تُبْنَ عليهم أصلًا.

## المطلب الثاني: الجهاد

لا يظن قارئ أن هذا التقسيم مبناه على أن الجهاد لا يكون إلا بعد تمام مرحلة الإعداد، إنما الإعداد المطلوب للجهاد هو جزء من الإعداد التام وليس كلَّه، والعمل الجهادي شَرط في تمام الإعداد، وبدونه لا يكتمل. والجهاد مبناه على أصلين: التخطيط والتنفيذ.

وكما ذكرتُ أن المقالَ ليس هدفه الإحاطة بكل جوانب العناوين، إنما بما أراه مناسبًا للحال.

## المبحث الأول : التخطيط

أما التخطيط فلا بد فيه من النظر ابتداء إلى البلاد عامة وتقسيمها باعتبار استطاعة العمل، فمنها:

**أرض الجهاد**: وهي بلاد متفرِّقة مِن المشرق إلى المغرب قامَت فيها سوق الجهاد، يجب فيها النظر والحسم في الهدف من هذا الجهاد، فليس الهدف واحدًا في كل أرض ولا في كل زمان، فقد يقتضي الواقع الاستمرار في القتال ولو كان عامل الحسم موجودًا لاعتبارات أخرى قد تكون متجاوزةً حدود البلاد متعلقةً ببقية طوائف الجهاد.

وقد يكون الحسم مطلوبًا فلا بد مِن وضع خطة واضحة للقادم حتى لا ينقلب الانتصار المادي إلى هزيمة دينية كما حصل في بقاع أخرى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٩٤﴾ [النحل ٩٤].

**أراض راكدة**: ليس فيها ما يبعث على الجهاد، كالبلاد المنعَّم أهلها بالمال والأمان مع سحب بساط الدين شيئًا فشيئًا، وقد حار العقل في العمل وطرائقه في هذه البلاد، والنظر موكول إلى أهله، فليس عندي سوى تَكرار الحديث عن الدعوة وبسط روح الشريعة قدر الاستطاعة.

**أراض محايدة:** والقصد منها تلك البقاع شبه الخارجة عن النظام العالمي، كأفغانستان وإيران ودونهما تركيا. فهذه البلاد لا بد من التفاوض مع حكامها الفعليين، والتفاوض لا بد فيه من تبادل منافع، كذلك الحذر من الاختراقات الأمنية، وأخطرُها في ذلك تركيا ودونها إيران.

وتقسيم هذه البلاد ليس على مستوى واحد، فبعضها قد يستفاد منها في كثير من الجوانب للاتفاق في أصول الإيمان والمنهج، وأخرى هي في الحكم سواء مع طوائف الطاغوت لكنها دونهم في الخطورة إن تداركنا ذلك، وقد تكون أخطر إن أرخينا الحبال. فالأعداء ليسوا على منزلة واحدة: فمنهم مَن يسعى لهلاكك، ومنهم مَن يتقرَّب بمصالحة، ومنهم مَن يرضى بالبُعد، والعاقل لا يُسوِّي بينهم في الحذر ولا في المعاملة. والفائدة تكون بتأمين بيئة سليمة آمنة للقيادات والنخبة، ومساحةً آمنة للاستثمار وكسب المال للحركة المجاهدة، وكذا التدريب والنفير ونحو ذلك مما هو معلوم.

ولذلك؛ ينبغي أن يُدار الصراع مع دول الطاغوت بحكمة مزدوجة: محاربة مَن يستحق القتال دون أن يُغلَق باب الصلح، وإقامة المصالحات مع من يمكنها تقوية الموقف، بما يترك للقائد الحرية في تعزيز موقفه أو تفكيك قوتهم متى شاء، مع المحافظة على توازن العلاقة مع الصديق والعدو على حد سواء.

## المبحث الثاني: التنفيذ

وليس في هذا المبحث تطويل، إذ مقصده معروف، فهو غاية الحركة المجاهدة، إذ ما سُمِّيَت بذلك إلا لممارستها الجهاد، ولم تقم نظرية المجاهدين إلا على أصل ضرب الطاغوت الأكبر، ولن تصلح الساحة الإسلامية عامة ويعود للمجاهدين فعلهم إلا بضربة كبرى تثبت لِمَن تشكَّك أن المجاهدين هم أهل السياسة والنصرة، ولا أقرب من ضرب عدو متَّفقٍ عليه كيهود؛ لا لكونه متفق عليه أولًا، بل لإجرامه وعبثه بديار المسلمين مباشرةً وإن كان خلفه الطاغوت الأكبر، ولتسريع عجلة الصراع الآيلة إلى إخراج المشركين كافة من ديار الإسلام، ولنصرة أهلنا المستضعفين الذي تمزَّقت أجسادهم بالرصاص وضرب الطائرات غير الجوع والخوف! فكل مقترحات البناء لا قيمة لها إن لم يكن للمجاهدين ضربة تعيدهم إلى طليعة الأمة.